جامـــعة واســـط
مجلـــــــة كليـــــــة التربيـــــة

العـدد الحادي والأربعون
الجزء الأول/تشرين الثانى/٢٠٢٠

استبداد المؤسسة الدينية في الفكر العراقي القديم

الباحث محمود أنعيمة خليفة العبادي أ.م.د. سعدون عبد الهادي الأمير
كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة واسط

الملخص :

كان للكهنة في العراق القديم دوراً كبيراً في تحويل الدين من أفكار ومعتقدات وجدت لتخليص الإنسان العراقي القديم من حالة الخوف والقلق النفسي التي يعيشها في حياته اليومية ، إلى وسيلة اخضاع استخدمت من قبل الطبقة الحاكمة في توجيه تفكير وسلوك أفراد المجتمع العراقي القديم نحو طاعة قوى السيطرة والاستبداد . وذلك عن طريق احتكارهم للثقافة والتعاليم والطقوس الدينية من جهة وصياغتها بالشكل الذي يخدم مصالحهم واستئثارهم بالسلطة في ذلك المجتمع من جهة ثانية .

Abstract

The despotism of the religious establishment in the ancient Iraqi thought The priests in ancient Iraq had a great role in converting religion from ideas and beliefs found to rid the ancient Iraqi man of the state of fear and psychological anxiety experienced in his daily life، to a means of subjugation used by the ruling class in directing the thinking and behavior of members of the ancient Iraqi society to obey the forces of control and despotism. And that through their monopoly of culture and teaching and religious rituals on the one hand, and formulated in a manner that serves their interests and exclusivity of power in that society on the other.

المقدمة :

لقد اعتبر المجتمع العراقي القديم من أكثر المجتمعات البشرية خشية لمظاهر السلطة ورموز السلطان، إلى درجة أن كثير من الكتاب والمؤرخين قد اعتبروا أن أهم ما يميز شخصية الإنسان العراقي القديم هي صفة الخضوع والخنوع لاستبداد السلطة الحاكمة واستغلالها. ومن هنا جاءت فرضية البحث لبيان أن الطاعة التي أبداها المجتمع العراقي القديم تجاه سلطته الحاكمة لم يكن باعثها صفات انهزامية في شخصية أفراده ، بل أنها جاءت تحت تأثير المعتقدات الدينية، والتي

اعتمدتها السلطة الحاكمة في العراق القديم كسياسة اخضاع فكري للمجتمع وكإيديولوجية لنظام الحكم في البلاد، وقد كان للمؤسسة الدينية الدور الأكبر والأهم في ذلك.

مفهوم الاستبداد :

الاستبداد لغة: وردت كلمة الاستبداد في اللغات العراقية القديمة بالصيغة (لوكال – كالا – كا LUGAL.KALA.GA)[١]، في اللغة السومرية ، وبالصيغة (شار–كشّايم– Šar kiššatim)[٢]، في اللغة الاكدية، بمعنى الملك المستبد في الصيغتين، وكصفة مفردة وردت بصيغة (دانّو– dannu)، بمعنى مستبد[٣].

وفي اللغة العربية الاسْتِبْدَادِ هو أسم لفعل (اِسْتَبَدَّ)، يقوم به فاعل (مُستبَدّ)[٤]، والاسْتِبْدَادِ بالشيء ، التفرد به[٥]، فيقال: اِستَبَدَّ بالأمر يستبدُّ به استبداداً ، إذا أنفرد به دون غيره[٦]، إما في اللغة الانكليزية فكلمة (Despotism) والتي تعني الاستبداد، مشتقة من الكلمة اليونانية (Despotes)، والتي تعني رب الأسرة أو سيد المنزل أو السيد على عبيده[٧].

الاستبداد اصطلاحاً : يُعرف الاستبداد وفقاً للموسوعة الفلسفية العربية بأنه: " الانفراد بالأمر، والأنفة عن طلب المشورة ، أو عن قبول النصيحة حيث ينبغي الطلب أو القبول. فإذا كان الأمر متعلقاً بمصلحة الفرد نفسه ، فإن الاستبداد يأتي ، على الأغلب، تعبيراً عن غرور بنفسه ، أو عن عدم قدرته على الانفتاح والتبادل ، أو إرادته كتم حقيقته عن غيره . وإذا كان الأمر متعلقاً بتدبير مصلحة جماعة معينة فإن الاستبداد يعني التصرف المطلق في شؤون تلك الجماعة بمقتضى المشيئة الخاصة والهوى" [٨].

تمهيد :

لقد ظهرت في المجتمع العراقي القديم منذ الفترات التاريخية المبكرة طبقة من الرجال المتنفذين، الذين حصروا في أيديهم السلطتين الدينية والدنيوية، وأفراد هذه الطبقة هم في أغلب الظن من رؤساء القبائل في فترة ما بعد تفسخ نظام المشاعية البدائية وتبلور نظام المُلكية الفردية، والذي رافق تحول القرى الزراعية الى مدن كبيرة[٩] ، فمع تعاظم تلك المدن في الحجم والسكان لم يعد من الممكن أن يستمر فيها التجانس الاجتماعي والثقافي[١٠]، فقد أدرك هؤلاء الرؤساء بأن صلة الدم والقربى التي بنوا عليها استبدادهم في مرحلة المشتركات القروية لم يعد كافياً في مجتمع المدينة الجديد[١١]، لهذا يرى (برتراند راسل) بأن الطبقات الحاكمة في الشرق القديم ومن ضمنها العراق القديم، كانت تحتاج إلى إيديولوجية فكرية من أجل خلق موقف سيكولوجي بين أفراد مجتمع المدينة الطبقي الجديد، تكون قادرة

على ضمان التماسك الاجتماعي بين أفراد تلك الطبقات المتناقضة بعد انحلال الدوافع البدائية لتعاونها في المجتمعات القروية القديمة من جهة، وأن تسهم تلك الإيديولوجية في اخضاع تلك الطبقات المحكومة لها (أي للطبقة الحاكمة)، لكي تستغلها في مشاريع الدولة المختلفة وبالتالي في مصلحة الطبقة الحاكمة نفسها من جهة ثانية، كما أن هذه الأخيرة كانت تدعم تلك الإيديولوجية بقدرتها الكبيرة على معاقبة اولئك الذين يتمردون عليها[١٢].

لهذا فقد سعى هؤلاء إلى الحصول على لقب الزعيم الروحي الأعلى للقبيلة، لما له من منافع مادية وتأثير كبير في نفوس أفراد المجتمع، [١٣]، ومع تطور المعتقدات الدينية وتعقد العبادة أنسلخ هؤلاء عن مجتمع المدينة شيئاً فشيئاً، ليتحولوا إلى فئة اجتماعية متميزة تمثلت في فئة الكهنة[١٤]، اتخذت من المعبد في العراق القديم[١٥] مقراً لها تدير فيه الشؤون الدينية وما اضطلعت فيه المؤسسة الدينية من وظائف دينية ودنيوية [١٦]، فالمعبد بالنسبة للعراقي القديم لم يكن يمثل مكاناً للعبادة فحسب، بل كان يجسد له رمز وحدة المجتمع ومركز التوازن فيه وقبلة تطلعات أبنائه ، فهو بيت الإله مصدر النظام والسلطة [١٧].

أولاً : استبداد الكهنة ضد المجتمع

١ – الاستبداد الفكري للكهنة

إنَّ المجتمع البشري هو مجتمع ذهنية وعقيدة ، فالذهنية والعقيدة موضوع أولي، إذ لم يتواجد بتاتا مجتمع بشري من دونهما، ويستحيل تشغيل ذلك المجتمع دون النجاح في هذين المجالين[١٨]، بمعنى أن ذهنية أفراد ذلك المجتمع تعمل من خلال تأملاتهم الذاتية على خلق موقفا اخلاقيا ثابتا وعميقا من العالم والحياة يكون عقيدة لذلك المجتمع، ويكون مقنعا لجميع الأفراد لأنه بُني على تأملاتهم الذاتية الجمعية[١٩]، وهنا يأتي دور الإبداع الإيديولوجي للكهنة في الاستئثار بتلك العقيدة وتطويعها وجعلها منهج حياة تسير وفقه طبقات المجتمع كافة ويكونوا هم بالطبع قادة ذلك المجتمع[٢٠].

فعلى الرغم من كون ديانة العراق القديم كانت توصف بكونها بدائية، بمعنى عدم وجود شخص أو مفكر ديني معين أضطلع بمهمة وضعها أو تأسيسها عند نقطة معينة من التاريخ، بل انبثقت من ردود الافعال المشتركة لسكان العراق القديم ازاء ما اعتبروه مقدساً من تأملاتهم وتفاعلهم مع بيئتهم الطبيعية في عصور قبل التاريخ[٢١]، إلّا أن فئة الكهنة مثلت بالرغم من ذلك المحور الرئيسي في تلك الديانة[٢٢]، إذ تمكنت تلك الفئة والتي ظهرت نتيجة استحواذها على فائض الانتاج الاجتماعي المتحقق من التطور الحضاري لمجتمعات جنوب البلاد[٢٣]، الأمر الذي وفر لهم(أي للكهنة) الوقت

الكافي للتأمل في معضلات نشأة الكون والإنسان وصياغة ما استخلصوه من أفكار دينية في هيئة أساطير[٢٤]، ولم ينسى هؤلاء صياغة تلك الأفكار بما يتلاءم مع طموحاتهم في السيطرة على وزيادة نفوذهم وجعلهم الطبقة الأولى والأرفع فيه[٢٥]، حتى أن أحدى الأساطير السومرية[٢٦]، تذكر أن الآلهة خلقت الكاهن الأعلى قبل الملك والبشر بأجمعهم ، كما في النص الأتي:

"خلق كو–سيك الحبر الأعظم للآلهة العظام، لكي ينجز

طقوسهم ومراسيمهم بكاملها.

خلق الملك، ليكون ذلك الذي يسد احتياجات(المعابد)،

خلق البشرية لتكون هي القائمة (بخدمة الآلهة)."[٢٧].

لقد عملت تلك الفئة على احتكار الجانب التأملي من الدين، وذلك بوضع حد للخيال والتفكير الإنساني الباحث عن مكانته ودوره في هذا الكون الواسع وعلاقته مع الآلهة، بإقناعه بدور العامل الذي خلقته الآلهة ليكون الخادم المطيع لها[٢٨]،لأن الإنسان المتأمل إن لم يجد لنفسه مكانا في تلك النصوص الدينية، فإنه سيبقى يبحث ويفكر أي سيبقى متأملا، وهذا الأمر سيؤدي إلى رجحان مفهوم التفكير الميتافيزيقي على حساب الجانب المادي العملي لدى الإنسان القديم وبالتالي فمن الصعب التحكم به أو السيطرة عليه أو على تفكيره وخيالة[٢٩]، وهو ما لا تحبذه الطبقة المتنفذة التي كان من مصلحتها أن يبقى تفكير الفرد مقتصراً ومنصباً على الحياة المادية، وأن تسود الطاعة ويحل الانسجام والقناعة في المجتمع العراقي القديم، إذ إن في ذلك ضمانة أكيدة لزيادة الرفاه المادي الذي يمكن أن يوفره عمل الإنسان المطيع[٣٠]، والمقتنع بالخدمة والعمل كمصير له وغاية من وجوده.

"أنت إيتها الوالدة (ستكونين) خالقة البشرية.

أخلقي الكائن البشري ليحمل النيّر،

ليحمل نيّر المهمة التي فرضها انليل

ليضطلع الإنسان بعبء الإله الثقيل." [٣١].

إنَّ نجاح الكهنة في تلك الايديولوجية كان معناه هيمنتهم على المجتمع، وهو ما عبّر عنه كارل ماركس بقوله: " كانت النتيجة، كما في جميع المراحل البدائية للتطور، أن أحتكر الكهنة الثقافة الذهنية، واتخذت الثقافة نفسها سمة لاهوتية في جوهرها. وبقيت السياسة والتشريع بين إيدي الكهنة، شأن كل العلوم الأخرى"[٣٢]. فبمجرد أن يعتنق الإنسان تلك العقيدة الكهنوتية فإنه يركز نفسه داخلها ويتحول الإله الذي يعبده من إله طبيعي إلى كائن سياسي، ويصبح مركز ذلك الإنسان في المجتمع

الذي يعتنق تلك العقيدة ثانويا مقتصراً على العمل وتلقي التوجيهات من الكهنة الذين استأثروا بالسيادة في ذلك المجتمع(٣٣).

لقد تمكنت المؤسسة الدينية ممثلة بالكهنة بفضل استبدادها الفكري هذا من الهيمنة على المجتمع العراقي القديم في مرحلة (سيادة المعبد)(٣٤)، بعدما سيطرت على مختلف شؤونه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بوصفها مؤسسة اضحت تمثل السلطتين الدينية والدنيوية(٣٥)، تحت حكم(الاين–EN)(٣٦)، فضلاً عن الدينية كونها احتكرت بيدها تفسير الإرادة الإلهية وإقامة الطقوس الدينية المختلفة وطلب القرابين والنذور باعتبارها ممثلة للآلهة (٣٧).

٢ – الاستبداد الديني للكهنة (الاستئثار بالطقوس والمعرفة الدينية)

على الرغم من أن قرارات الآلهة كانت فردية استبدادية لا ترد ولا تبدل، لكن الإنسان لم يُترك دون دلالات عن الإرادة المقدسة، وكان يفترض أن رغبات الآلهة تنعكس على الأرض أو تتذر بها الأحداث(٣٨)، وما دام الكهنة هم وسيلة الاتصال الوحيدة بين تلك الآلهة المتغيبة وبين المجتمع وهم وحدهم من يعرف رغباتها ومتطلباتها(٣٩)، وادعائهم بامتلاكهم المقدرة على استرضاء تلك الآلهة وتجنب غضبها ونقمتها على الإنسان، لذلك فقد وضع العراقيون القدماء ثقتهم المطلقة بهؤلاء الكهنة الذين قاموا بدور الوسيط بينهم وبين تلك الآلهة(٤٠)، وقد استغل هؤلاء الكهنة مكانتهم المقدسة تلك بين الناس أسوأ استغلال فابتزوا الأموال مقابل الطقوس التي يقومون بها، فضلاً عن استثمار ثروة المعابد من الهبات والضرائب المتنوعة (٤١).

كان على الكهنة أولا أن تختزل الدين الذي كان يمارس في الفترات المبكرة جدا من قبل الشخص البسيط وعائلته أو المجموعة التي ينتمي إليها بأنفسهم، وبدون شفيع بينهم وبين ما اعتقدوا بقدسيته أو ألوهيته(٤٢)، إلى مجموعة من الطقوس الدينية والتي تشمل التعاويذ والصلوات وتقديم القرابين وأداء التراتيل والأناشيد إضافة إلى الاحتفالات الدينية والتي كانت كلها معقدة وسرية جداً بحيث لا يمكن ممارستها من قبل الفرد العادي إلا بمعونتهم(٤٣)، هذا الأمر دفعه المؤسسة الدينية إلى زيادة اهتمامها بالتعليم، بهدف جعل النظام الكهنوتي من أسرار الآلهة والطقوس الدينية المختلفة المدونة أكثر تعقيداً وأقل وضوحاً للعامة وبالتالي لا يمكن حلها واستخدامها إلا من قبل الكهنة المختصين من جهة(٤٤)، ومن أجل أن تبقي هيمنتها على المجتمع ونشر تعاليمها ولاستقطاب الناس إليها من الجهة الأخرى(٤٥).إذ كانت الكتابة هي أساس الثقافة التي تفرد بها الكهنة، وأصبحوا بفضلها أكثر طبقات المجتمع ثقافة جراء المدارس الثابتة والدائمة في المعبد(٤٦)، والتي أخذت على عاتقها تقديم شتى أنواع المعارف والعلوم لإعداد الكهنة، شملت تعليمهم مختلف النصوص الدينية كالتعاويذ ونصوص الفأل

والصلوات والتراتيل والطقوس والشعائر التي من شأنها اعداد الكاهن للقيام بالطقوس الدينية المختلفة التي غدت حكرا بأيدي الكهنة (٤٧)، إذ يفترض بأن أغلب الأعمال الأدبية السومرية والتي كانت ذات طابع ديني كانت قد أُلِّفت ونقحت من قبل الكهنة من أجل استعمالها في الطقوس المعبدية(٤٨)، وعلى هذا لم تكن النصوص الدينية المختلفة تعطي فكرة واضحة عن النظرة الشخصية للعراقيين القدماء نحو الدين وطقوسه أو عن سلوكهم في تطبيق تعاليمه ، بل أن تلك النصوص الدينية تمثل بصورة عامة وجهة نظر رجال الدين (الكهنة) فحسب(٤٩).

وتماشيا مع هذا الاحتكار للطقوس الدينية من قبل فئة الكهنة أصبحت المعابد أكثر تعقيداً منذ العصر البابلي القديم من شكلها البسيط الذي كانت عليه في العهود السومرية، لكي تلائم التخصص الكهنوتي والوظائف المتعددة لتلك الفئة، ولتتماشى مع ابتداعهم المفهوم القائل بان التقرب إلى الآلهة العظيمة لا يكون ممكنا إلا عن طريقهم(٥٠). وليشكل الكهنة من الرجال والنساء مجتمعاً مغلقاً له قوانينه وتقاليده الخاصة، يعيش على واردات المعبد وعلى التجارة والإيداع وعلى عوائد الطقوس الدينية المختلفة ايضا، وكان لهذا المجتمع دوره المؤثر في تقرير شؤون الدولة وفي الحياة الخاصة لكل المواطنين(٥١).

لقد أدخل الكهنة الدين في كافة نواحي الحياة في العراق القديم ، حتى ساد الدين وطقوسه المختلفة كل وجه من وجوه تلك الحياة ، بل أن تلك الأوجه جرت صياغتها بشكل متوائم مع الدين(٥٢). وهو ما يدلل على مدى تطور الجانب الكهنوتي من الدين، كما يبين في الوقت نفسه على الدور الاستبدادي للكهنة في اختزال الدين بطقوس معقدة استأثروا بعلومها وجعلوها وسيلة بأيديهم للسيطرة على كل جوانب الحياة الاجتماعية (٥٣).

فقد كان هناك عدد لا يحصى من الأوامر أو النواهي الإلهية التي يجب عدم مخالفتها، والتي تزخر بها الحياة اليومية للفرد العراقي القديم، بحيث كان من الصعب في واقع الأمر ألا يخالف المرء واحدة منها في كل خطوة(٥٤)، إذ صور الفكر العراقي القديم وربما تحت تأثير الكهنة بأن الإنسان ولد وهو يحمل الخطيئة ومستعداً لارتكابها باستمرار ، وهذا ما عبر عنه النص الأتي بكل صراحة:

"لقد قال الحكماء كلمة صادقة ومعبرة:

لم يولد لأم ولد بلا خطيئة

ومنذ القدم لم يكن فتى بلا خطيئة"(٥٥).

لذلك كان كل ما يصيب الإنسان من شر ومرض وفقر أو أية بلوى أخرى، كان يفسره الكهنة على أنه عقاب إلهي نتيجة خطيئة أرتكبها ذلك الإنسان(٥٦).

"لقد استقر عفريت الاساكّو الشرير في جسم الرجل، أنه يغطي
الرجل كالرداء أثناء تجواله أنه يمسك بيديه ورجليه ويشل أطرافه."(٥٧).

وهنا يتوجب على الإنسان المبتلى التوجه لهؤلاء الكهنة باعتبارهم موضع ثقة الآلهة والمختارين من قبلها ليقصدهم الخاطئون، كي يتوسطوا بينهم وبين تلك الآلهة التي يتعذر على الناس العاديين أدراك كنه أحكامها(٥٨)، وفي جميع الحالات يجب على الإنسان التضحية والبذل لهؤلاء الكهنة تكفيراً عن حس الخطيئة الغامض هذا.

"الجدي هو بديل البشر، لقد أعطي الجدي مقابل حياته، أعطي
رأس الجدي بدلا من رأس الرجل، أعطيت رقبة الجدي بدلا
من رقبة الرجل، أعطي صدر الجدي بدلا من صدر الرجل"(٥٩).

لقد أوصلت الطقوس الدينية التي كان يفرضها الكهنة على الإنسان العراقي القديم إلى حد الحزن العميق أو تعذيب الذات في محاولة للوصول إلى طمأنينة النفس وتوازن المشاعر(٦٠).

"خرجت من بيتي وسرت خارجاً على غير هدى.
وفؤولي المستشارة كانت مفعمة بالقلق ومضطربة كل الأيام.
وإذ تركت العراف ومفسر الأحلام،
لم اكن أكثر قراراً حول الطريق التي يجب أتخاذها، " (٦١).

لقد فشل الكهنة في مهمتهم الأساسية والمتمثلة في معرفة إرادة الآلهة أولاً، وجعل المؤمن يعيش بسلام مع تلك الآلهة وإرادتها ثانياً(٦٢)، فكثيراً ما نقرأ في النصوص الأدبية شكوى أولئك الذين تعرضوا لنوائب الدهر دون أن يكون باستطاعة الكهنة بمختلف صنوفهم أن يفعلوا شيئا لأنهاء أو تقليل عذاباتهم تلك(٦٣)، وهذا ما عبرت عنه قصيدة (لامتدحنّ رب الحكمة)(٦٤)، إذ عجز الكهنة بمختلف أصنافهم عن تخفيف آلامه أو معرفة فأله ولا حتى طرد الأرواح الشريرة عنه .

" إن العراف، بالعرافة، لم يقرر مستقبلي.
وشارح الأحلام، رغم سكيبته، لم يوضح حالتي،
فاستغثت بروح الموتى، ولم يطلعني،
ولم يحلّ المعزّم، برتبه، الغضب الإلهي الثائر علّي." (٦٥).

أبتدع الكهنة العديد من الطقوس الدينية التعسفية والتي كان على أبناء المجتمع العراقي القديم الالتزام بها، ومن أكثر تلك الطقوس الدينية تعسفاً واستبداداً ما عرف بالفكر العراقي القديم بطقس الملك البديل(٦٦)، فبدعوى الحفاظ على حياة الملك وفقاً لتفسيرات الكهنة لأحد الفؤول السيئة، كان يتم اختيار

فدية بشرية من بين ذكور المدينة تحل محل الملك الأصلي مؤقتا[٦٧]، ولتحمل معها بعد ذبحها في نهاية اليوم أو بعد مائة يوم كل الشرور التي كانت تهدد حياة الملك الأصلي[٦٨]، وهذا ما يوضحه النص الأتي:

" **إنَّ الرجل الذي أُسلم ليقوم مقام الملك ، عليه أن يموت**
(ايمات) لكي ... لا تمس الفؤول السيئة الملك المذكور " [٦٩] .

لم يسلم من الطقوس الدينية الاستبدادية للكهنة حتى المتوفي من أفراد المجتمع ، فوفقاً لوثيقة إصلاحات اورونمكينا كان على أسرة المتوفي أن تدفع مبالغ معينة من الأموال وكميات كبيرة من الحنطة والخبز والنبيذ والشعير وغيرها من المواد إلى الكاهن لكي يباشر طقوس عملية الدفن، حتى صح القول أن أغلى شيء في لكش إن تموت[٧٠]، مما أضطر الأسر الفقيرة التي ليس باستطاعتها توفير تلك الأموال ان ترمي جثث ابنائها في النهر [٧١].

" **لقد كانت جعة الذي يأتي بالميت إلى المقبرة (لدفنه)–(أي الجعة التي**
يتقاضاها كأجر له عن ذلك) ٧ أباريق وكان (عدد أرغفة) خبزه ٤٢٠.
وكان الـ ....(موظف لا يمكن تحديد هويته) يستلم ٢ ((أول)) من
شعير الـ ((حازي))، ورداء واحداً، ومسند رأس واحداً ،وسريراً واحداً.
وكان الـ ((لوديما)) يستلم ((أول)) من الشعير." [٧٢].

إنَّ ما ورد في تلك الوثيقة يوضح وبجلاء استبداد الكهنة واضطهادهم للشعب وسيطرتهم على قرابين وأملاك المعابد في ظل منافسة مع الطبقة السياسية للحصول على أكبر قدر ممكن من النفوذ والامتيازات كان ضحيتها الطبقات الفقيرة من عامة الشعب[٧٣]، كما يوضح ذلك النص الأتي :

" **كان الـ((سانجا)) الموكل (بتجهيزات) الطعام يقطع**
أشجار حديقة الأم الساخطة ويأخذ الفاكهة "[٧٤].

من جانب أخر استغل الكهنة القرابين المقدمة للآلهة والتي وفقاً للفكر العراقي القديم كانت تحتاج إلى العناية اليومية من أكساء وطعام وشراب من خلال تماثيلها الموجودة في المعابد [٧٥]. فتلك القرابين كانت تقدم على أنها ثروة وليست أدوات تستعملها الآلهة[٧٦]، ومما لا شك فيه أن تلك القرابين كانت سواء ما كان يقدم منها في الوجبات اليومية لتلك الآلهة أو ما يخزن في المعبد تستهلك من قبل الكهنة، لأنهم يقومون بأكل الطعام نيابة عن الآلهة[٧٧]، وعلى الأغلب كانت المائدة الإلهية تحجب عن أعين الناس بستارة [٧٨]، وكمثال على ذلك يذكر أحد النصوص من مدينة الوركاء في الأزمنة المتأخرة كمية القرابين المعّدة لمؤنة الإله اليومية، بأنها ضمت ما يقدّر بألف رغيف من الخبز

وخمسين شاة وثورين وثمانية خراف وخمسة وأربعين أناء من الجعة والنبيذ اضافة إلى أشياء أخرى، وهذه الكمية الكبيرة من الطعام تشير إلى العدد الكبير من الكهنة المستفيدين من تلك القرابين والجرايات والهدايا المقدمة للمعبد من الملوك أو الأفراد الاعتياديين(٧٩).

إنَّ تلك الكميات الكبيرة من الطعام والشراب اللازمة لأعداد المائدة الإلهية، كانت تثقل كاهل أفراد المجتمع العراقي القديم، لأن توفير تلك المتطلبات كان يقع على طبقات المجتمع كافة(٨٠)، وهو ما تبينه الأعمال الفنية المختلفة، والتي توضح المتعبدون من مختلف فئات المجتمع وهم يجلبون القرابين والتي كانت تمثل أثمن ما يملكون إلى تماثيل الآلهة، نزولاً وتطبيقاً لأوامر هذه الأخيرة التي كانت تطلب من عبدتها تزويدها بالطعام والشراب(٨١)، حسب أدعاء الكهنة لكي ينعموا بهذه الخيرات الوفيرة والمتواصلة على مر الأيام والسنين ، حتى أصبحوا أفضل فئات المجتمع دخلاً وأعلاهم مرتبة(٨٢)، ونجد في (الأناء النذري)(٨٣)، ما يجسد احتكار الكهنة للقرابين والهدايا المقدمة إلى الآلهة عشتار(٨٤). وفي رسالة من العصر الآشوري الحديث معنونه إلى الملك الآشوري (أشور بانيبال ٦٦٩-٦٢٧ق.م) تبين قيام أحد الكهنة ويدعى (أُرَاد – ناب Urad–nabû)، بتسجيل الحقل والدار والناس والأبناء المنذورين للمعبد في وثيقة مختومة واعتبرهم ملكا له(٨٥).

ثانياً : استبداد السلطة الدينية ضد السلطة السياسية

لقد كانت طبيعة أول إدارة حاكمة ظهرت في العراق القديم خلال الألف الرابع قبل الميلاد ذات طابع ديني (ثيوقراطي)، كان الحكم فيه للكهنة الذين أتخذوا من المعبد مقراً لهم في أدارة شؤون المجتمع العراقي القديم، ومع بداية(عصر فجر السلالات السومرية) شهدت البلاد ظهور أولى التنظيمات السياسية الحاكمة، جمع الحاكم فيها بين يديه السلطتين الدينية والسياسية(٨٦)، تمثل هذا الجمع بأولى الألقاب التي حملها الحاكم السومري، وهو لقب(الاين)، الذي يعني السيد من الناحية اللغوية، والحاكم بالمفهوم السياسي العام وكذلك يعني الكاهن الأعلى من الناحية الدينية(٨٧).

مع توسع مسؤوليات الحاكم السياسية والدينية أضافة إلى التطورات الاجتماعية الأخرى في العصور السومرية اللاحقة، أضطر الحاكم السياسي إلى ترك معظم واجباته الدينية إلى الكهنة(٨٨)، لكنه بقى بالرغم من ذلك يعد الكاهن الأعلى، ومع أنه لم يمارس هذا العمل بسبب كثرة مسؤولياته السياسية، إذ كان يعهد به إلى شخص آخر يقوم بتعينه، ألا أنه تمكن من خلاله انتزاع أغلب واردات المعابد الاقتصادية من يد الكهنة، أضافة إلى الاستفادة من قيمتها الدينية(٨٩)، فعلى مدار التاريخ السياسي للعراق القديم لم يستطع الحاكم السياسي الاستغناء عن المعتقدات الدينية أو الدين بصورة عامة، لأن هذا الأخير مثل الأساس الذي انطلقت منه السلطة السياسية ومظلتها الشرعية(٩٠)، وأن دخول الحاكم

أو السلطة السياسية بصورة عامة في منافسه معلنه مع السلطة الدينية كان من شأنه ترك الحاكم أو السلطة السياسية مفتقدة للطابع الكلي ومنزوعة الشرعية أمام المجتمع(٩١).

فعلى الرغم من هذا الانفصال بين السلطتين السياسية والدينية، ألا أن الأخيرة استغلت الطبيعة الدينية للحكم السياسي في العراق القديم وحاجة الملوك للدين كغطاء شرعي لحكمهم، من اجل الاستمرار في ممارساتها الاستبدادية التسلطية ضدها، بغية إبقائها تحت هيمنتها وللحصول على المكاسب والامتيازات المشروعة منها أو غير المشروعة على حد سواء، وخاصة في فترات الضعف التي تمر بها السلطة السياسية(٩٢)، فعندما كرس انتمينا(٢٤٣٠-٢٤٠٠ق.م) حاكم لكش الأولى مزهرية فضية للإله (ننكرسو) من أجل حياته، اضطر تحت هيمنة واستبداد المؤسسة الدينية على الملك أن يكتب عليها ايضا اسم (الكاهن دودو)(٩٣)، كما في النص الأتي:

" **قدم (انتمينا) مزهرية من الفضة الخالصة، ولأجل حياته**

قدمها إلى ننكرسو... في الوقت الذي كان دودو كاهن ننكرسوا"(٩٤)

لقد وجدت المؤسسة الدينية في احتكار الطقوس الدينية المختلفة بيدها الطريق الذي ستحاول من خلاله التخلص من الهيمنة التي فرضتها عليها السلطة السياسية ، تلك الهيمنة التي يمكن اعتبار عصر الحاكم اوروانمكينا بداية لها (٩٥)، فمن خلال احتكار الكهنة لوظيفة تفسير النذور ونصوص الفأل وادعائهم بمعرفة حركة الأبراج السماوية وامتلاكهم موهبة قراءة المستقبل المجهول(٩٦)، وجعل تلك التفسيرات تنسجم مع رغباتهم، تمكنت المؤسسة الدينية من ممارسة الاستبداد الديني على السلطة السياسية بصورة عامة وعلى الملوك بصورة خاصة، متصدية لرغباتهم التسلطية وجعلهم تحت تأثير طقوسها المفتعلة، بل واستطاعت أن تسجن الملك وسط دوائر عديدة من تحريمات وامتناعات استبدادية تعسفيه على اعتبار أنها مقدرة من قبل الآلهة(٩٧).

إنَّ أقوى ملوك العراق القديم نراهم قد انصاعوا لهذا الاستبداد الديني ولم يجرؤا على اتخاذ قراراً ما بدون استشارة الكهنة ومعرفة ما تأمر به نصوص الفأل، فقد ورد على لسان الملك الاكدي (نرام – سين ٢٢٤٩-٢٢١٣ق.م) في نص يعود إلى عهده، أنه لم يستطع معاقبة الأسرى دون استشارة الفأل وأخذ الأذن بذلك ، كما يوضح ذلك النص الأتي :

" **دون استشارة الفأل ، لا أستطيع معاقبتهم ،**

بشأنهم أذن خصصت خروفاً"(٩٨) .

ولم يستثنى من ذلك حتى ملوك العصر الآشوري الحديث، فعلى الرغم مما عرف عن ملوك ذلك العصر من قوة وبأس مكنتهم من تكوين أقوى إمبراطورية عرفها التاريخ في ذلك الوقت(٩٩)، نراهم

يحرصون كل الحرص على استحصال رضى الآلهة ومعرفة ما تنبأ به نصوص الفأل ، تلك الغاية التي استعصت عليهم حتى مع كون الملك الآشوري كان يعد الكاهن الأعلى للإله آشور ، لهذا كان عليهم أن يلجأوا إلى الكهنة المختصين للحصول على مبتغاهم ، فاستغل هؤلاء الكهنة حاجة الملك إليهم وفرضوا عليه طقوساً دينية مختلفة ومزعجة، أدت غالباً إلى تقييد سلطة الملك(١٠٠)، على الأقل تجاه الكهنة بصورة خاصة والمؤسسة الدينية بصورة عامة .

لقد أصبح الملك حبيسا في قصره الملكي نتيجة لقيود التحريم المهينة وغير المريحة التي أوجدها الكهنة عن طريق نصوص الفأل، فقد كان على الملك الآشوري في حالة ظهور فأل سيء "أن يصوم عدداً من الأيام حتى يظهر الهلال ويمتنع عن الطعام المطبوخ ويرتدي البسة معينة ويظل محبوسا في كوخ قصب ويعامل كما لو كان مريضاً "(١٠١)، حتى أن الملك الآشوري اسرحدون(٦٨٠-٦٦٩ق.م) أصبح مهووسا بتفسيرات الفأل إلى درجة كبيرة، ولابد أن للكهنة المختصين دوراً في ذلك، حيث استغلوا نصوص الفأل للتحكم بالملك وفق رغباتهم(١٠٢). بلغ استبداد الكهنة على حياة الملوك الآشوريين حداً دفعهم إلى تصور قيام مؤامرات تحاك ضدهم من أقربائهم وأبنائهم بدفع من الكهنة لجعله في حالة من الاضطراب والحاجة الدائمة إلى تفسيرات الكهنة لنبوءات الفأل (١٠٣).

" **إذا أتى نجم بالقرب من نجم الملك، فإن أبن الملك الذي يعيش في حاشيته سوف يتمرد ضد أبيه ولكن سوف لن يستولي على العرش** " (١٠٤).

ووصل الأمر بالكهنة في استخدام الطقوس الدينية، كسياسة استبدادية، إلى حد التعنيف وإصدار الأوامر للملوك المقصرين في أداء واجبهم الديني ، وهذا ما يوضحه نص الرسالة التالية التي يوجهها أحد الكهنة للملك :

" **لماذا لم ينجز الملك هذه الطقوس ؟ ليقم بها في الحال ، وإلا عندما تحل الكارثة ، فإن ذلك سيأتي بعد فوات الاوان** "(١٠٥).

لقد أصبح للكهنة من خلال طقوس العرافة تأثير كبير على أمور الدولة، حيث زعموا أن باستطاعتهم معرفة الإرادة الإلهية أو تفسيرها من خلال العلامات التي تظهر في جسم أو دم القربان المضحى به من قبل الملك طالبا النصح الإلهي في قضية من قضايا الدولة(١٠٦)، فقد يؤخر قراءة الفأل بتلك الطريقة جميع شؤون الدولة ، فالمعاهدات على سبيل المثال ، التي كان لابد أن توثق عن طريق القسم بالآلهة ، لم تكن تعقد إلّا في أيام معينة لأن القسم في أيام نحسة الفأل قد يكون له عواقب وخيمة(١٠٧).

كانت المؤسسة الدينية تستفيد من فترات الضعف التي تمر بها السلطة السياسية لتمارس عليها طقوسها الاستبدادية المرتكزة على الإرادة الإلهية في ظاهرها وعلى أطماعها في واقع الأمر . فكثيراً ما كانت المؤسسة الدينية تحاول إخضاع الملوك الضعفاء وأن لم تنجح في ذلك الصق الكهنة تهمة ارتكاب الخطيئة بهؤلاء الملوك وبالتالي استحقاقهم للعقوبة الإلهية (١٠٨)، تلك العقوبة الإلهية الصبغة الكهنوتية التخطيط والتنفيذ تتمثل بسحب الاعتراف الإلهي بسلطة الملك وإبعاده عن الحكم أو حتى قتله، وهذا ما قامت به المؤسسة الدينية في بابل ضد الملك البابلي اويل- مردوخ (٥٦٢-٥٦٠ق.م)، الذي تم اتهامه من قبل كهنة الإله مردوخ بارتكاب الخطيئة ليتم قتله على أيديهم(١٠٩)، بعد أشتراك هؤلاء الكهنة بمؤامرة دبرها زوج أخته نركال-شار-اوصر (٥٦٠-٥٥٦ ق.م)، الذي سيطر على العرش البابلي بمساعدتهم(١١٠).

ومن الطقوس التعسفية التي يقوم بها الكهنة ضد الملوك قيام الكاهن الأكبر في عيد الاكيتو بلطم وجه الملك وجر أذنه وجعله يسجد أمام تمثال الإله على الأرض بعدما قام بتجريده من رموز الملوكية الصولجان والحلقة والسيف قبل ذلك(١١١)، وبعد أن يجبر الملك على ترتيل نوع من الاعتراف تعاد إليه الشارات الملكية بواسطة الكاهن الذي يعاود صفع خده مرة ثانية وبقوة أكبر هذه المرة إلى درجة جعله يذرف الدموع بحجة الفأل الحسن(١١٢)، وهذا يدل على تسلط المؤسسة الدينية على الملوك وأن كان من خلال الطقوس الدينية التي فرضت عليهم.

كما كان على الملك توفير القرابين والنذور ووجبات الطعام إلى الآلهة وتقديمها بنفسه بصفته الرئيس الأعلى لكهنة المعبد وهذا وفر للمعبد مصدر دائم للطعام والشراب والكسوة والهدايا الثمينة الأخرى(١١٣)، بل كان على الملوك أن يقدموا تلك القرابين إلى الكهنة حتى بعد مماتهم في العالم السفلي؛ الذي يبدو أن الكهنة قد أحتلوا مكان الصدارة فيه، إذ وردت الإشارة إلى ذلك في نص (موت كلكامش) (١١٤) ، وكذلك في النص المعروف بعنوان (موت اور-نمو)(١١٥).

إنَّ السلطة السياسية كانت تستشعر وطأة الطقوس الاستبدادية التي فرضتها عليها المؤسسة الدينية ، لهذا عمل الملوك على الحد من هيمنة تلك السلطة من خلال حرصهم على الاحتفاظ بلقب الكاهن الأعلى لأنفسهم أو لأحد أبنائهم(١١٦)، لكن احتفاظ الكهنة بوظيفة الطقوس الدينية التي أصبحت سلاحهم الفعال ضد الملوك ، دفع هؤلاء الملوك الى تأليه أنفسهم(١١٧)، إذ يرى بعض الباحثين أن الدافع وراء تأليه بعض الملوك لأنفسهم هو للتخلص من هيمنة المؤسسة الدينية على السلطة السياسية(١١٨)، وكذلك التخلص من ضغط طقوس الكهنة الاستبدادية أخر أسلحة المؤسسة الدينية

الملوك[١١٩]،إذ أن التأليه كان يتيح للملوك ليس فقط التخلص من هيمنة السلطة الدينية، بل يتيح له أمكانية إخضاع هؤلاء الكهنة لسلطته بقدر ما تكون وظيفتهم الرئيسة خدمته بوصفه الهاً[١٢٠].

الاستنتاجات :

١- شكل الدين بصورة عامة الملجأ الروحي للإنسان العراقي القديم، لأن وجود الدين في حياته جعله يشعر بالطمأنينة المتأتية من أيمانه العميق بذلك الدين .إلّا أن تدخل الكهنة وفرضهم تفسيرات خاصة بهم خدمة لمصالحهم جعلوا من الدين عبارة عن قيود جديدة للإنسان فرضتها الآلهة وكان الكهنة السجانون .

٢- إنَّ الطاعة التي أبداها الإنسان العراقي القديم تجاه مظاهر السلطة واستبدادها لم تكن متأتية من سلوك وصفات انهزامية طبيعية في شخصية الفرد العراقي القديم، بل كان مردها للقداسة الدينية التي اضفتها الطبقة الحاكمة وعلى رأسها رجال الدين (الكهنة) على نظام الحكم في العراق القديم، مستغلين تأثير الدين في نفوس أبناء ذلك المجتمع .

٣- استغلت المؤسسة الدينية في العراق القديم مكانتها الدينية وثقة أبناء المجتمع العراقي القديم بها، في الوصول إلى تحقيق مصالحها على حساب تعاسة وشقاء أفراد ذلك المجتمع، من خلال احتكار المعرفة والثقافة الدينية وصياغتها في هيئة إيديولوجية اخضاع فكري.

٤- عانى أبناء المجتمع العراقي القديم من استبداد المؤسسة الدينية التي فرضت عليهم طقوس دينية تعسفية وصلت إلى حد تقديم الأضاحي البشرية، ومع فشل تلك المؤسسة في توفير الطمأنينة النفسية والروحية التي كان يبتغيها الفرد العراقي القديم مقابل طاعته وأيمانه بتلك المؤسسة وعقديتها، أدى هذا ذلك إلى وقوع أفراد المجتمع العراقي القديم في حالة من الاغتراب النفسي.

٥- أدى انفصال المؤسسة السياسية عن المؤسسة الدينية في العراق القديم خلال منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، إلى استغلال المؤسسة الدينية إلى حاجة المؤسسة السياسية للدين كغطاء شرعي لها، من أجل المحافظة على امتيازاتها والوقوف بوجه نفوذ وقوة ملوك وحكام العراق القديم، وذلك عن طريق بعض الطقوس والتحريمات والنواهي الدينية .

٦- كانت علاقة المؤسسة الدينية مع المؤسسة السياسية في العراق القديم تتراوح بين الخضوع والاخضاع فيما بينهما، فكلما مرت الأخيرة بفترات ضعف خضعت لنفوذ وهيمنة المؤسسة الدينية، بينما في فترات الملوك والحكام الأقوياء كانت المؤسسة الدينية تخضع لقوة ونفوذ سلطانهم.

الهوامش :

([1]) **CAD**, D, Vol. 3, P.98.
([2]) **CAD**, B, Vol. 2, P. 147.
([3]) **CAD**, D, Vol. 3, P. 92.

([٤]) إبراهيم أنيس وآخرون، **المعجم الوسيط** ، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، (القاهرة، ٢٠٠٤)، ج١، ص ٤٢.

([٥]) أبن منظور ، **لسان العرب** ، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، ١٩٩٩)، ج٣، ص ٨١.

([٦]) أبن أبي الحديد، **شرح نهج البلاغة** ، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية ، (القاهرة، ١٠٦٠)، ج٩، ص ٢٤٣.

([٧]) س. م . لحام وآخرون ، **القاموس السياسي ومصطلحات المؤتمرات الدولية (انكليزي-فرنسي-عربي)**، ط٢، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ٢٠٠٥)، ص ١١٢.

([٨]) ناصيف نصار وآخرون ، **الموسوعة الفلسفية العربية** ، معهد الإنماء العربي ، (القاهرة، ١٩٨٦)، ج١، ص ٥٣.

([٩]) رضا الهاشمي ، " النظام الكهنوتي في العراق القديم"، **مجلة كلية الآداب**، ع ١٤،(بغداد ، ١٩٧٠- ١٩٧١)، ص ٢٦٠.

([١٠]) محمد عودة ، **مبادئ علم الاجتماع** ، مركز الكتب الثقافية ، (بيروت – ١٩٨٥) ، ص ١٥٨.

([١١]) عصمت سيف الدولة ، **الاستبداد الديمقراطي** ، دار الكلمة للنشر، (القاهرة، ١٩٨١)، ص ٣١.

([١٢]) ، **السلطة والفرد** ، ترجمة شاهر الحمود، دار الطليعة، (بيروت، ١٩٦١)، ص ص ٤٠-٤١.

([١٣]) رضا الهاشمي ، **النظام الكهنوتي** ... ، ص ٢٦٠.

([١٤]) دياكونوف، "ظهور الدولة الاستبدادية في العراق القديم"، **العراق القديم – دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية**، ترجمة طه التكريتي، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد، ١٩٨٧)، ص ٢٨٣.

([١٥]) لمزيد من الاطلاع حول المعابد في العراق القديم . ينظر:
طه باقر ، "معابد العراق القديم" ، **سومر** ، مج٣،(١٩٤٧)؛ مؤيد سعيد، "المدن الدينية والمعابد" **في المدينة والحياة المدنية**، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، ١٩٨٨) ، ج١، ص ص ١٢٧-١٤١ ؛ وليد الجادر ، " المدينة والبناء في العراق القديم " ، **مجلة كلية الآداب** ، ع ٢٣ ، (بغداد، ١٩٧٨) ، ص٦٤، وما بعدها.

([١٦]) عامر سليمان، "جوانب من حضارة العراق القديم"، **العراق في التاريخ**، دار الحرية للطباعة، (بغداد،١٩٨٣)، ص ص ٢١٢-٢١٣.

([١٧]) يوسف الحوراني ، **البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الآسيوي القديم** ، دار النهار للنشر ،(بيروت ، ١٩٧٨)، ص ٣٧١.

([١٨]) عبدالله اوجلان ، **مانيفستو الحضارة الديمقراطية (أزمة المدينة وحل الحضارة الديمقراطية في الشرق الأوسط)**، ترجمة زاخو شيار ، ط٢، مطبعة ازادي ، (طهران ،٢٠١٤)، ج٤، ص ١١٩.

([١٩]) يوسف الحوراني ، **البنية الذهنية** ... ، ص ٢٩.

([٢٠]) عبدالله اوجلان ، **مانيفستو الحضارة** ... ، ص ص ١١٩-١٢٠

(٢١) جان بوتيرو ، **بلاد الرافدين : الكتابة – العقل–الآلهة** ، ترجمة الأب البير ابونا، مراجعة وليد الجادر، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد ،١٩٩٠)، ص ٢٤٦.

(٢٢) هاري ساكز، **عظمة بابل** ، ترجمة عامر سليمان، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل ،١٩٧٩)، ص ٣٦٥.

(٢٣) جوردون تشايلد ، **التطور الاجتماعي** ، ترجمة لطفي فطيم ، مطابع سجل العرب، (القاهرة، ١٩٨٤) ص١٥٥.

(٢٤) جورج رو ، **العراق القديم** ، ترجمة وتعليق حسين علوان حسين، منشورات وزارة الثقافة والأعلام ، (بغداد ،١٩٨٤)، ص ١٣٠

(٢٥) ول. ديورانت ، **قصة الحضارة**، ترجمة محمد بدران، دار الجيل للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٨٨)، مج١، ج٢، ص ٣١.

(٢٦) للاطلاع على هذه الأسطورة ونصها الكامل. ينظر:

رينيه لابات، **المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين (مختارات من النصوص البابلية)**، ترجمة البير ابونا ووليد الجادر، (بغداد،١٩٨٨)، ص ص ٧٩–٨١.

(٢٧) المصدر نفسه ، ص ص ٨٠–٨١.

(٢٨) صموئيل نوح كريمر ، **الأساطير السومرية – دراسة في المنجزات الروحية والأدبية في الألف الثالث قبل الميلاد** ، ترجمة يوسف داود عبد القادر ، مطبعة المعارف ، (بغداد ، ١٩٧١) ، ص١١٤.

(٢٩) نزار يوسف ، **الحكمة بين الإله والسلطان** ، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع ،(دمشق، ٢٠٠٨) ، ص ٦٠

(٣٠) بديعة امين ، **في المعنى والرؤيا دراسات في الأدب والفن** ، دار الرشيد للنشر، (بغداد، ١٩٧٩).، ص ١٨٩.

(٣١) رينيه لابات ، **المعتقدات الدينية ...** ، ص ٢٢.

(٣٢) كارل ماركس وفريدريك انجلز ، **حول الدين** ، ترجمة ياسين الحافظ ، ط٢ ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، (بيروت ، ١٩٨١)، ص ٧٧.

(٣٣) فيورباخ ، **أصل الدين** ، ترجمة أحمد عبدالحليم عطية ، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع ، (بيروت،١٩٩١) ، ص ٨٣.

(٣٤) مرحلة سيادة المعبد: هي التسمية التي أطلقت على المرحلة التاريخية التي اصبح فيها لمؤسسة المعبد السيادة المطلقة في شتى مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية أضافة إلى الدينية ، أذ أصبح المعبد يمثل نظاما اجتماعيا قائماً أخذ على عاتقه تنظيم المجتمع في مختلف مجالات النشاط الاجتماعي في المرحلة التي أعقبت مرحلة الانقلاب الاقتصادي في القرى الزراعية الأولى ، وتحدد فترة سيادة المعبد من دور العبيد (٤٠٠٠–٣٥٠٠ق.م) الى نهاية دور الوركاء الأخير (٣٥٠٠–٣١٠٠ق.م). للمزيد ينظر:

علي محمد مهدي ، **دور المعبد في المجتمع العراقي من دور العبيد حتى نهاية دور الوركاء** ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد،(١٩٧٥م)، ص ص ١١٧–١٢٥.

(٣٥) رضا الهاشمي، **النظام الكهنوتي**...، ص ص ٢٦٠–٢٦١.

(٣٦) اين–EN: وهو أقدم الألقاب الملكية التي ظهرت في العراق القديم ، ويعني السيد أو الكاهن الأعلى في السومرية ، ويقابله في اللغة الأكدية (بيلوم bēlum)، ويطلق اللقب على الآلهة وعلى سادة المجتمع ،وقد ورد هذا اللقب في أقدم

الكتابات المكتشفة في مدينة الوركاء، ووردت الكلمة (اين) بوصفها لقباً وليس اسماً ويعتقد أن الاين كان ملكاً وكاهناً في الوقت نفسه، إذ جمع بين السلطتين الدينية والدنيوية باعتباره الممثل المباشر للآلهة على الأرض . ينظر:

W.W. Hallow, **Early Mesopotamian Royal Titles**, (New Haven, 1957),P.3 .

(٣٧) تقي الدباغ ، " من القرية إلى المدينة "، **المدينة والحياة المدنية** ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، ١٩٨٨) ،ج١، ص ٤٢.

(٣٨) هاري ساكز ، **عظمة بابل** ، ص ٣٥٨.

(٣٩) جوردن تشايلد ، **ماذا حدث في التاريخ (دراسة لتطور الحضارة منذ العصر الحجري حتى نهاية العصور القديمة)** ، ترجمة جورج حداد، الشركة العربية للطباعة والنشر، (القاهرة ،١٩٥٦) ، ص ٢٩١.

(٤٠) عامر سليمان وأحمد مالك الفتيان ، **محاضرات في التاريخ القديم** ، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل ، ١٩٧٨) ، ص ٨٣.

(٤١) حلمي محروس إسماعيل ، **الشرق العربي القديم وحضارته** " **بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة** " ، روان للطباعة والاعلان ، (الاسكندرية، ١٩٩٧)، ص ١١١.

(٤٢) تقي الدباغ ، **الفكر الديني القديم** ، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، ١٩٩٢) ، ص ٣٣.

(٤٣) اندري بارو، **سومر فنونها وحضارتها** ، ترجمة وتعليق عيسى سلمان وطه التكريتي ، (بغداد ، ١٩٧٨) ، ص ١٠٢.

(٤٤) رضا الهاشمي، **النظام الكهنوتي** ...، ص ٢٦٦.

(45) F.A.M. Wiggermann ," Theologies , Priests , and Worship in Ancient Mesopotamia", in , **CANT** , Vol. III,(New York , 1995) , P . 1858.

(46) John F. Robertson, "The Social and Economic Organization of Ancient Mesopotamia Temples", in, **CANT**, Vol. I, (New York , 1995),P.449.

(47) F.A.M. Wiggermann , **Theologies , Priests , and Worship**...,PP,1864-1865.

(٤٨) صموئيل نوح كريمر، **السومريون تاريخهم حضارتهم وخصائصهم** ، ترجمة فيصل الوائلي، مكتبة الحضارات، (بيروت،٢٠٠١) ، ص ٢٣٠.

(٤٩) عامر سليمان ، "جوانب من حضارة العراق" ، **العراق في التاريخ** ، دار الحرية للطباعة، (بغداد،١٩٨٣)، ص ٢٠٩؛ سبتينو موسكاتي ، **الحضارات السامية القديمة**، ترجمة السيد يعقوب بكر، مراجعة محمد القصاص، دار الرّقي ، (بيروت،١٩٨٦)، ص ص ٩٢-٩٣.

(50) Michael Roaf, "Palaces and Temples in Ancient Mesopotamia", in, **CANT** , Vol. I, (New York , 1995),PP.432-433.

(51) John F. Robertson, **The Social and Economic**...,P.450.

(٥٢) يوسف الحوراني ، **البنية الذهنية** ... ، ص ٢٤.

(53) F.A.M. Wiggermann , **Theologies , Priests , and Worship**...,P.1865.

(٥٤) جان بوتيرو ، **بلاد الرافدين** ... ، ص ٢٧٧.

(٥٥) صموئيل نوح كريمر، "الديانة السومرية (اللاهوت والطقس والأسطورة)"، **(موسوعة تاريخ الأديان)**، ج٢، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، تحرير فراس السواح، دار علاء الدين، (دمشق، ٢٠٠٤)،، ص٢٠٢.

(56) Anthony Green , " Ancient Mesopotamian Religious Iconography" , in, **CANT** ,Vol. III, (New York , 1995) , P . 1847 .

(٥٧) هاري ساكز، **عظمة بابل** ، ص ٣٥٠.

(٥٨) عبد الباسط سيدا ، **من الوعي الأسطوري إلى بدايات التفكير الفلسفي النظري (بلاد ما بين النهرين تحديداً)**، دار الحصاد للنشر والتوزيع، (دمشق، ١٩٩٥)، ص ٢١٣.

(٥٩) هاري ساكز، **عظمة بابل** ، ص ٣٥٠.

(٦٠) يوسف الحوراني ، **البنية الذهنية** ... ، ص ص ٣٣٣-٣٣٤.

(٦١) رينيه لابات، **المعتقدات الدينية** ...، ص ٣٩٥.

(٦٢) جورج كونتينو، **الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور**، ترجمة طه التكريتي، ط٢، دار الشؤون الثقافية (بغداد، ١٩٨٦) ، ص ٤٦٤.

(٦٣) فاضل عبد الواحد علي ،"العرافة والسحر "**حضارة العراق**، دار الحرية للطباعة، (بغداد،١٩٨٥)، ج١، ص٢٠٠.

(٦٤) لامتدحن رب الحكمة : من القصائد البابلية الشهيرة تحمل اسم (لودلول – بيل – نيمقي) أي (أريد أن أمدح سيد الحكمة) تشبه في إطارها العام قصة أيوب في التوراة لذلك تعرف أحيانا بـ (أيوب البابلي) تتألف من ٤٥٠ بيتا ، ويعتقد أنها دونت في العصر الكشي . للمزيد ينظر:

فاضل عبد الواحد علي ، **سومر أسطورة وملحمة** ، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد،٢٠٠) ، ص ص ٢٥٤-٢٥٩.

(٦٥) رينيه لابات، **المعتقدات الدينية** ...، ص ٣٩٨.

(٦٦) الملك البديل : لا يعرف بالتحديد بداية ظهور هذا الطقس ولكنه مورس في العصر البابلي القديم وزادت المعلومات عنه في العصور المتأخرة ويعتقد ان لهذا الطقس جذور سومرية ، ويقضي هذا الطقس عند ظهور فأل سيء يفسره الكهنة بشر محدق بحياة الملك يستوجب لدفع تلك الاخطار ان يختفي الملك وافراد اسرته لفترة زمنية معينة حتى تزول تلك النذر السيئة ،وخلال تلك الفترة التي قد تستمر يوم او مائة يوم يتنازل الملك عن العرش بشكل رمزي ومؤقت الى ملك بديل، إذ تبقى السلطة الحقيقية بيد الملك الأصلي، ويتزوج الملك البديل من عروس ويحكم البلاد أسمياً ، ويكون مستعدا لتحمل الاخطار الشريرة بدلا من الملك وبذلك ينقذ الدولة من الكارثة ، وبعد زوال الفأل السيء وانتهاء الفترة الزمنية يقتل(وقد لا يقتل في حالات أخرى استناداً للدراسات الحديثة) الملك البديل وزوجته ويدفنان بمراسيم فخمة ويستعيد الملك الحقيقي عرشه بسلام ، ينظر :

H. Frankfort, **kingship and the Gods** , (Chicago , 1948), PP. 262-265 ؛ سامي سعيد الأحمد ، "الادارة ونظام الحكم" ، **حضارة العراق** ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، ١٩٨٥) ، ص ص ١٢-١٤؛ هاري ساكز، **قوة آشور** ، ترجمة عامر سليمان ، منشورات المجمع العلمي العراقي ، (بغداد ، ١٩٩٩) ، ص ٢١٢.

(67) H. Frankfort, **kingship and the Gods** ,P. 262.

(68) Ibid , P.263.

(٦٩) جان بوتيرو ، **بلاد الرافدين** ... ، ص ١٩٧.

(٧٠) عبد الرضا الطعان ، **الفكر السياسي في العراق القديم** ، دار الرشيد، (بغداد، ١٩٨١)، ص ١٦٢.

(٧١) أحمد لفتة رهمة ، "المضامين الاجتماعية لإصلاحات الحاكم السومري اورو- اينمكينا (٢٣٦٥-٢٣٥٧ق.م) في العراق القديم"، **مجلة القادسية للعلوم الإنسانية**، مج ١٠، ع ١-٢،(القادسية، ٢٠٠٧).، ص ٢٥١.

(٧٢) صموئيل نوح كريمر، **السومريون...**، ص ٤٥٦.

(٧٣) طه باقر ، **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، شركة الوراق للنشر المحدودة، (بغداد، ٢٠٠٩) ،ج١، ص ص ٣٥٥-٣٥٦.

(٧٤) صموئيل نوح كريمر ، **السومريون...** ، ص ٤٥٦.

(٧٥) رضا الهاشمي ، **النظام الكهنوتي** ...، ص ٢٦٤.

(٧٦) عبد الرضا الطعان ، **الفكر السياسي** ...، ص ١٦١.

(٧٧) عامر سليمان ، **العراق في التاريخ القديم** ، ج٢، ص ١٣٤.

(٧٨) ليو اوبنهايم ، **بلاد ما بين النهرين** ، ترجمة سعدي فيضي عبد الرزاق ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، (بغداد ، ١٩٨١) ، ص٢٣٦.

(٧٩) عامر سليمان ، **العراق في التاريخ القديم ـ موجز التاريخ الحضاري** ، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل ،١٩٩٣)، ج٢، ص ١٣٤.

(٨٠) سيتون لويد ، **أثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الاحتلال الفارسي** ، ترجمة سامي سعيد الاحمد ، دار الرشيد للنشر، (بغداد ، ١٩٨٠) ، ص ٤٦.

(٨١) هاري ساكز، **عظمة بابل** ، ص ٤٠٥.

(٨٢) جوردن تشايلد ، **التطور الاجتماعي** ، ص ١٥٦.

(٨٣) الأناء النذري : هو أناء من الرخام الجيد يبلغ ارتفاعه ١٠٥سم ، عثر عليه في الوركاء في منطقة المعابد (اي – انا) في الطبقة العائدة لعصر جمدة نصر ، إلّا أن بعض الباحثين ارتأى إرجاعه إلى دور الوركاء السابق ، ونحت عليه ثلاثة حقول من المواضيع الفنية . للمزيد ينظر:
انطوان مورتكات ، **الفن في العراق القديم** ، ترجمة وتعليق عيسى سلمان وسليم طه التكريتي ، مطبعة الاديب البغدادية ،(بغداد ، ١٩٧٥)، ص ص ٤٩ – ٥١.

(٨٤) رضا الهاشمي ، **النظام الكهنوتي** ... ، ص ٢٦٥.

(٨٥) شيماء علي النعيمي ، من النشاطات الاقتصادية لمعابد بلاد آشور في العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ق.م) ، **مجلة دراسات موصلية** ، ع ٣٠، (الموصل،٢٠١٠)، ص ٧١.

(86) Samuel Greengus, "Legal and Social Institutions of Ancient Mesopotamia", in, **CANT**, Vol.1, (New York , 1995), P.470.

(87) F.A.M. Wiggermann , **Theologies , Priests , and Worship**... , P . 1863 ff.

([88]) J .n. Postgate, "The role of the temple in the Mesopotamian secular", **Community regional and Local evidence for Urban settlement** , part 3, (London ,1929),P.821.

([٨٩]) عبد العزيز صالح ، **الشرق الأدنى القديم** ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، (القاهرة،١٩٦٧)، ج١، ص ٣٩٦.

([٩٠]) سعدون عبد الهادي وحسين سيد نور، العبادة السياسية في العراق القديم ، **مجلة واسط للعلوم الإنسانية**، مج ١٠، ع ٢٦، (واسط، ٢٠١٤). ص ١٧٠.

([٩١]) عبد الرضا الطعان ، **الفكر السياسي** ... ، ص ٢٦٧

([92]) Karl .A. Wittfogel , **Oriental Despotism A comparative Study of Total Power,** Yale University Press, (New Haven and London, 1957).,PP.94-95.

([٩٣]) دودو: الكاهن الأعلى للإله مدينة لكش (ننكرسو) في عهد ملكها انتمينا، يوجد له تمثال في المتحف العراقي يحمل أسمه . ينظر:

اندري بارو ، **سومر فنونها وحضارتها** ، معجم الاعلام ، ص ٦.

([٩٤]) أنطوان مورتكات، **تاريخ الشرق الأدنى القديم** ، تعريب توفيق سليمان وآخرون،(دمشق ، ١٩٦٧) ، ص ٩٠.

([٩٥]) سعدون عبد الهادي وحسين سيد نور، **العبادة السياسية** ... ، ص ١٧١.

([96]) F.A.M. Wiggermann , **Theologies , Priests , and Worship**... , p 1865 ff .

([97]) Stephen Bertman, **Handbook to Life in Ancient Mesopotamia**, (new York, 2003), P.177.

([٩٨]) رينيه لابات ، **المعتقدات الدينية** ... ، ص ٣٧٤.

([٩٩]) صفوان سامي سعيد ،"التمرد والعصيان في المملكة الآشورية الحديثة" ، **مجلة آثار الرافدين** ، العدد الاول ، (الموصل،٢٠١٢)، ص ١٢٠.

([١٠٠]) أنطوان مورتكات، **تاريخ الشرق الأدنى القديم**، ص ٩٠.

([١٠١]) هاري ساكز ، **قوة اشور** ، ص ٢١٢.

([١٠٢]) المصدر نفسه والصفحة .

([١٠٣]) صفوان سامي سعيد ،**التمرد والعصيان في المملكة الآشورية**...، ص ١٢٠.

([١٠٤]) المصدر نفسه والصفحة .

([١٠٥]) عبد الرضا الطعان ، **الفكر السياسي** ... ، ص ١٦٦.

([106]) A .Goetze , An Old Babylonian Prayer of the Divination Priest , **JCS**, Vol. 22 . No .2, (New Haven ,1968), P . 25 ff .

([١٠٧]) هاري ساكز، **قوة آشور** ، ص ٢١٢.

([١٠٨]) عبد الرضا الطعان ، **الفكر السياسي**... ، ص ١٦٣.

([109]) Gwendolyn Leick, **Who's Who in the Ancient Near East**, (London,1999),P.122.

([110]) C. Thompson , " The New Babylonian Empire ",**CAH**, (Cambridge, 1980), Vol. III, P. 217.

([111]) S.H .Hooke, **Babylonian and Assyrian Religion**, (London,1953),P.109.

([112]) Ibid, P . 110.

([113]) F.A.M. Wiggermann , **Theologies , Priests , and Worship…**, P. 1861 ff.

([١١٤]) نائل حنون ، **عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة** ، ط٢ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد ، ١٩٨٦)، ص ١٣٧.

([١١٥]) صموئيل نوح كريمر، **السومريون** ... ، ص ص ١٧٥-١٧٦.

([١١٦]) عبد الرضا الطعان ، **الفكر السياسي** ... ، ص ١٦٥.

([١١٧]) تأليه الملوك : تعد فكرة تأليه الملوك لأنفسهم من الافكار الطارئة على الفكر الديني في العراق القديم ، لأنها لم تتبع من المعتقدات الدينية في بلاد الرافدين القديمة ولم تكن يوما جزءا منها، بعكس الملك في المعتقدات المصرية القديمة الذي كان يعد إلهً منذ بداية العصور التاريخية في بلاد وادي النيل واستمر كذلك في مختلف العصور ، إما في العراق القديم فقد زالت هذه الظاهرة بزوال الملوك الذين اعتنقوا هذه الفكرة أي أنها ارتبطت بالواقع السياسي اكثر من ارتباطها بالمعتقد الديني ، وقد انقسمت آراء الباحثين حول عدّ الملك المؤله في هذه الظاهرة إلهً بالمعنى الصريح للكلمة أم مجرد ملكاً مقدساً فقط ، كذلك اختلف الباحثين في الأسباب التي دفعت الملوك إلى تأليه انفسهم . للمزيد ينظر:
فوزي رشيد، **نرام سين ملك الجهات الاربع** ، وزارة الثقافة والاعلام ، (بغداد ، ١٩٩٠)، ص ص ٥٩-٦٠.

([١١٨]) فاتن موفق فاضل ،"الملوك المؤلهون في العراق القديم" ، **مجلة التربية والعلم** ، مج ٢٠ ، ع ٤ ، (الموصل ، ٢٠١٣) ، ص ٤.

([١١٩]) سعدون عبد الهادي وحسين سيد نور، **العبادة السياسية** ... ، ص ١٧٨.

([١٢٠]) عبد الرضا الطعان ، **الفكر السياسي** ... ، ص ١٦٦.